دعوة أهل الطائف الى الاسلام

كان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في ذلك الوقت يعمل على نشر الدعوة الاسلامية، وكان اهل بيته ينصرونه على الرغم مما لاقوه من الشدائد والاهوال، وما فاتت السنة العاشرة من نزول الوحي حتى اصيب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بوفاة عمه وحاميه ابي طالب، ثم ماتت زوجته خديجة بنت خويلد، وسمي ذلك العام عام الحداد او الحزن، وكان موتهما قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وفقد بذلك الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) نصيرين كبيرين، ومنذ هذا الوقت واجه (صلى الله عليه وآله وسلم) ظروفاً صعبة قاسية قلّما واجهها من قبل، فقد اصطدم منذ بداية السنة الحادية عشرة بأحوال قاسية مفعَمة بالعداء والحقد والاَخطار التي هدّدت حياته الشريفة، بل افتقاد إمكانية نشر الدعوة، فلمّا توفي أبو طالب، نالت قريش من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاَذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا، وفي البيت عندما بكت ابنته على وضعه هذا قال: "ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب".

وقد دفع هذا الاَمر المتردّي، أن يبحث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بيئة أُخرى أفضل من بيئته لنشر الدعوة فيها، فاختار الطائف التي كانت تعتبر مركزاً هاماً آنذاك، فقرر السفر إليها وحيداً لمقابلة زعماء ثقيف، لعلّه يكسب نجاحاً في مهمته أو أنصاراً جدداً.

فانطلق الى مدينة الطائف ودعا فريقا من اشرافها الى وحدانية الله، ولكنه لم يلق منهم اذنا صاغية، بل قابلوا دعوته بالاستهزاء واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فالتجأ إلى بستان وعمد إلى ظل جلس فيه وهو يتصبب عرقاً، فقد ألحقوا الاَذى بمواضع عديدة من بدنه الشريف، كما أنّ رجليه سالت منهما الدماء.

إلاّ أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتمكن من الرجوع إلى مكّة بسهولة، حيث خاف أذى المشركين، ممّا جعله يذهب إلى حراء، فالتقى رجلاً من بني خزاعة طلب منه أن يخبر

«المطعم بن عدي» بحالته، ويسأله أن يجير رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يدخل مكة في أمان.

ورغم أنّ «المطعم» كان وثنياً، إلاّ أنّه قبل أن يجيره «صلى الله عليه وآله وسلم» فدخل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) مكة ليلاً، ونزل في بيت «المطعم» و بات فيه، ثمّ دخل في الصباح مع أهل بيته إلى المسجد الحرام ثمّ إلى منزله.

عاود الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) نشر الاسلام بين اهل مكة، وكان كل اعتماده في نشر الدعوة في موسم الحج، فكان يعرض نفسه على القبائل ويدعوهم الى الله، وعمه ابو لهب ينادي "انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه"، وكان بعض الحجاج يرفض دعوته وبعضهم الاخر يرد عليه ردا قبيحا.

ترحيب اهل يثرب بدعوة الرسول

سكنت يثرب قبيلتا الأَوس والخزرج في القرن الرابع الميلادي بعد هجرتهم من اليمن، وهم من القحطانيين، كما سكن بجانبهم اليهود القادمين من شمال الجزيرة العربية، وكثيراً ما كان يحضر منهم جماعة إلى مكّة، فكان النبي يلتقي بهم ويتصل معهم عارضاً عليهم دينه، فقد كان حجاجهم ينقلون أخباره (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهاليهم، ممّا مكنهم التعرف عليه وعلى أهدافه، وعلى الاخص عن طريق ذلك الوفد الذي ارسلته الاوس في السنة العاشرة من البعثة يلتمس من قريش الحلف على قومهم من الخزرج، وانتهز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فرصة وجودهم ودعاهم الى الاسلام، فاسلم بعضهم واعرض بعضهم الاخر.

ففي الموسم التالي اقبل جماعة من الخزرج للحج فيهم ستة من ساداتهم وكانوا ينشدون حليفا لتوحيد كلمتهم مع الاوس او التغلب عليهم، اذ كان كل منهما يريد ان تكون له الرياسة، فلقيهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عند العقبة، فسمعوا لدعوته وأجابوا.

بيعة العقبة الاولى

في السنة الثانية عشرة من البعثة جاء الى مكة اثنا عشر رجلا من اهل يثرب، وكان أبرزهم: أسعد بن زرارة، وعبادة الصامت، لقوا الرسول بالعقبة وبايعوه في تلك الليلة، وسميت تلك البيعة (بيعة النساء) وبيعة العقبة الاولى، ولعل سبب تسميتها ببيعة النساء لوجود عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بها، وهي اول امرأة بايعت الرسول.

وكان نصّ البيعة، بعد الاعتراف بالإسلام والإيمان باللّه وبرسوله: «بايعنا رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) على ألاّ نشرك باللّه شيئاً، ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف» ويرد عليهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى اللّه عزّ وجلّ، إن شاء عذّب وإن شاء غفر».

وطلبوا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرسل إليهم من يعلّمهم القرآن والدين، فارسل الرسول مع اهل يثرب مصعب بن عمير الذي تمكن من أن يجمع المسلمين في غياب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويؤمهم في المسجد.

بيعة العقبة الثانية

ما ان حل موسم الحج التالي (السنة الثالثة عشر من البعثة) حتى خرجت من يثرب قافلة كبيرة منهم ضمت ٥٠٠ نفر، فيهم ٧٣ مسلماً بينهما امرأتان الذين اسلموا حديثا قاصدين مكة، وقد عزموا على ان يدعوا النبي للهجرة الى يثرب.

اجتمع هؤلاء اليثربيون برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقبة بعد اداء الحج، وكان معه عمه العباس بن عبد المطلب، وكان لايزال على الشرك، فتكلّم فيهم العباس قائلاً: إنّ محمّداً منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، فهو في عزّ من قومه ومنعة في بلده، وإنّه قد أبى إلاّ الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنّكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممّن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنّكم مسلّموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنّه في عزّ ومنعة من قومه وبلده.

ثمّ تكلّم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فتلا القرآن ودعا إلى اللّه ورغّب في الإسلام ثمّ قال: «أبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». فبايعوه على ذلك و هم في حماس وسرور عظيم.

كما أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عاهدهم على أن يبقى معهم، ويكون بجانبهم في سلمهم وحربهم: «أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم» ثمّ قال لهم: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسي بن مريم، وأنا كفيل على قومي، أي المسلمين، فأُبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون نساءكم وأولادكم». فقالوا: نعم. فبايعوه على ذلك».

أمّا بخصوص قبول أهل يثرب الدين الإسلامي أسرعَ من أهل مكّة الذين رفضوه خلال ثلاثة عشر عاماً، فإنّ هناك عوامل هامة كان لها التأثير المباشر القويّ في ذلك:

١- ان وجود الاوس والخزرج الى جنب اليهود في يثرب نقل الافكار الدينية اليهودية المنزلة من السماء، التي فيها ذكر للوحي ووحدانية الله، ثم عظمته وقدرته الشاملة والبعث والحساب وما بعدهما من جنة ونار وغير ذلك.
٢- ضعف عبادة الاوثان عند العرب في يثرب جعلهم اقدر على فهم دعوة نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من اهل مكة الوثنيين.
٣- وجود اليهود بالمدينة، وقيامهم بنشر الاَخبار عن ظهور نبي جديد ودين جديد، ممّا هيّأ أهلها لقبول هذا الدين الذي كانوا ينتظرونه، الاَمر الذي جعلهم أسرع في تقبلهم للدعوة اذ قال بعضهم لبعض: واللّه إنّه للنبيّ الذي توعّدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه.
٤- وجد اهل يثرب في هذا الدين ما يوحد كلمتهم ويجمع شملهم ويقضي على ما بينهم من تنازغ وبغضاء، فقالوا: عسى أن يجمعهم اللّه بك، فإن جمعهم اللّه بك فلا رجل أعزّ منك.
٥- نالت شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بغيتهم المنشودة، اذ عرفوه رجلا من اكرم بيوتات قريش وساداتها، وهو ابن امنة من بني النجار احد بطون الخزرج.